المعجم العربي الحديث اللااشتقاقي
المرجع والرائد نموذجاً

الدكتور عبد الإله نبهان

كان حدثاً رائعاً وغرّة في تاريخ العلم عند العرب ولادة كتاب العين في القرن الثاني للهجرة على يد أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي[1] الذي جمع وضبط ونظّم ورتّب، وماز المستعمل من المهمل .... فأحسن في ذلك الإحسان كلَّه، وسبق فيه أهل زمانه، وأصبح مَنْ أتى بعده عيالاً عليه وتبعاً له يستوي في ذلك من اعترف به أو منْ أنكره، ومن قرظه أو انتقده.

ولد المعجم العربيّ وصاحب ولادتَه مصاعبُ شتى كانت تحول بين الناس وبين المعجم، أو لنقل إن تلك المصاعب كانت تعوقُ الناس عن الاستفادة السهلة المرجوّة من مواد المعجم وفوائده الجمّة ومعارفه المتفرّقة الغزيرة، ذلك لأن المقدرة على الاستفادة السريعة تتطلّب ضرباً من التمرس لا يستطيعه جمهور المتعلمين ولا

(١) الخليل بن أحمد (١٠٠- ١٧٠هـ تقريباً) ومعجم العين قيل فيه الكثير. انظر: المعجم العربي د. حسين نصار ١: ٢١٨ وما بعدها، وقد طبع العين تاما لأول مرة في ثمانية أجزاء ببغداد ١٩- بتحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي. وقد سار على ترتيبه من بعده القالي (تـ٣٥٦هـ) في معجمه «البارع» والأزهري (تـ ٣٧٠هـ) في معجمه «تهذيب اللغة» والصاحب بن عباد (تـ ٣٥٨هـ) في معجمه «المحيط في اللغة» وابن سيده (تـ ٤٥٨هـ) في معجمه «المحكم في اللغة» .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يصبرون عليه لذلك ما لبثنا أن سمعنا ابن دريد[٢] يقول ولّما يمض طويل زمن بينه وبين الخليل إن الخليل قد: «أتعب مَنْ تصدّى لغايته وعنّى مَنْ سما إلى نهايته، فالمنصف له بالغلب معترف والمعاند متكلّف، وكلٌّ من بعده له تبع أقرّ بذلك أم جحد، ولكنه ـ رحمه الله ـ ألّف كتاباً مشاكلاً لثقوب فهمه وذكاء فطنته وحدة أذهان أهل عصره»[٣] .

حاول ابن دريد في الجمهرة تجنّب صعوبات كتاب العين، فنبذ ترتيب الحروف على مخارجها وجعل ترتيب الحروف على الألف باء وهو ترتيب الهجاء الذي وضعه نصر بن عاصم الليثي[٤] وشاع بين الناس لنشأتهم عليه في مجالس التعليم الأولى، لكنّ ابن دريد تابع الخليل في التزامه نظام الأبنية، وتابعه آخذاً بنظام التقاليب، ثم ألحق بكتابه أبواباً لا صلة لها بمفهوم المعجم[٥] ؟!. فكان كتاب العين أشدَّ منهجيةً وأحكم ترتيباً من الجمهرة. والتغيير الأساسي الذي قام به ابن دريد هو أخذه بالترتيب الهجائي بدلاً من ترتيب الخليل.

ثم كان أحمد بن فارس[٦] الذي خطا بالمعجم خطوة رائدة نحو سهولة الترتيب وتقريب المواد على الباحث، وذلك بنبذه نظام التقاليب كليةً وباختصاره نظام الأبنية إلى ثلاثة: المضاعف، الثلاثي، ما فوق الثلاثي، وبنى

(٢) ابن دريد محمد بن الحسين (ت ٣٢١هـ) صاحب جمهرة اللغة والملاحن والاشتقاق.

(٣) جمهرة اللغة: ١: ٣ وقد طبع الجمهرة في حيدر آباد سنة ١٩٢٥ .

(٤) نصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩هـ) وانظر: المعجم العربي بين الماضي والحاضر: ٢٢ .

(٥) ألحق ابن دريد بمعجمه عشرات الأبواب عالج فيها النوادر من الأبنية والأسماء والمعرب من الألفاظ وغير ذلك. وهي أبواب لم تقم في ترتيبها على أساس معين. وانظر المعجم العربي ٢: ٤٢٠ .

(٦) أحمد بن فارس اللغوي (ت ٣٩٥هـ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على ذلك معجمه الفريد في بابه «مقاييس اللغة» ومعجمه المختصر «مجمل اللغة»[٧] .

وكان ظهور معجم تاج اللغة وصحاح العربية للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري[٨] بترتيبه الرائع من المفاصل الحاسمة في تطور ترتيب المعجم العربي بل إنه القمة السامقة التي وصل إليها ترتيب المعجم في القرن الرابع للهجرة فقد كان ثمرة تطور طويل ووليد جهود بذلها المعجميون السابقون بدءاً من الخليل ومروراً بأبي عمرو الشيباني[٩] وابن دريد وإسحاق بن إبراهيم الفارابي[١٠] وابن فارس ... في سبيل الوصول إلى الترتيب الأمثل سهولةً وبعداً عن التعقيد ...

ونبذ الجوهري مستفيداً من تراكم الخبرات السابقة كلَّ ما من شأنه أن يعوق الرجوع إلى معجمه فطرح طريقة التقاليب وأخذ بالترتيب الهجائي (الألف بائي) وألغى طريقة الأبنية وأقام نظامه على النظر في أصول المواد ورتبها على الأصل الأخير على أنه الباب مع مراعاة تسلسل الحرف الأول (الفصل) ومراعاة الثواني والثوالث ...

---

(٧) معجم مقاييس اللغة طبع بمصر بتحقيق عبد السلام هارون (١٣٦٦- ١٣٧١هـ) أما «مجمل اللغة» فقد صدر في مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٩٨٤ بتحقيق زهير عبد المحسن سلطان عما صدر عن معهد المخطوطات في الكويت.

(٨) إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) وقد طبع معجمه «الصحاح» عدة طبعات أولها في الآستانة ١١٤٠هـ - ١٧٢٨م وفي إيران سنة ١٢٧٠هـ - ١٨٥٣م وفي القاهرة: بولاق ١٢٨٢هـ - ١٨٦٥م و١٢٩٢هـ - ١٨٧٥م ثم صدر بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار بالقاهرة سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م وتتالت طباعته بالأوفست بعد ذلك..

(٩) أبو عمرو الشيباني إسحاق بن مرار (ت ٢٠٦هـ) له كتاب الجيم، صدر في ثلاثة جزاء بتحقيق الأبياري والطحاوي والعزباوي عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٤- ١٩٧٥. ونشرت دراسة عن معجم الجيم لفرنر ديم ترجمها د. حسن محمد الشماع ونشرتها الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ١٩٨٠ .

(١٠) إسحاق بن إبراهيم الفارابي أبو إبراهيم (ت ٣٥٠هـ) له معجم ديوان الأدب وقد صدر عن مجمع اللغة بالقاهرة بتحقيق د. أحمد مختار عمر في أربعة أجزاء عام ١٩٧٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبنظام الجوهري وصل المعجم إلى النظام الأمثل ولم يكن أمام الزمخشري[١١] بعدئذ سوى أن يقلب طريقة الجوهري ليظهر الترتيب الآخر المقابل الآخذ بأوائل الأصول مع مراعاة الثواني والثوالث ...

وعدّ الجوهري رائداً من الرواد الكبار في تاريخ المعجم العربي، وجعله الدكتور حسين نصّار رائد زمنه كما كان الخليل رائد زمنه وقال فيه: «ومهما قال القائلون في الصحاح فإنه خطا بحركة المعاجم أوسع خطوة بعد خطوة الخليل فهو رائد عصر من الزمن، كما كان الخليل رائد زمنه، أو هو العلم الثاني الذي يبرز في حركة التأليف في المعاجم ويكاد يصل إلى مستوى صاحب العين، وأهم ما قدّمه إلى هذه الحركة ترتيبه الجميل وانتظام معالجة موادّه ومحاولة التزام الصحيح من الألفاظ، وقد سار أكثر أصحاب المعاجم بعده على ترتيبه فكانوا من مدرسته[١٢] » وسار المعجم العربي بعد «الصحاح» و«أساس البلاغة» على هذين الترتيبين، بل إن معظم معجماتنا الأمهات كالعباب واللسان والقاموس والتاج سارت على ترتيب «الصحاح». ومع كل ما بُذل من الجهد في الجمع والترتيب ومحاولة التغلب على العوائق، كانت هناك صعوبات مازالت تواجه مراجعي المعجم .... نعم لقد تغلّب المعجميون على صعوبة ردّ الأصل الأخير في الواويّ واليائي إلى أصله، فدمجوا الواو والياء في باب واحد، وأخلصوا الباب الأخير للألف اللينة... ومع ذلك بقيت هناك صعوبات كامنة في الكلمات التي غمض اشتقاقها وفي الكلمات الدخيلة، والكلمات التي ابتعد الناس باستعمالها عن أصلها حتى تُوهّم أصالة ما هو زائد فيها ...

وفي بعض المعجمات كانت بعض الكلمات تتكرر، تأتي مرة في

(١١) الزمخشري محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) والإشارة هنا إلى معجمه «أساس البلاغة» وقد طبع بالقاهرة عام ١٨٨٢م وعام ١٩٠٩ وعام ١٩٢٢ وعام ١٩٧٣ وله طبعات أخر.

(١٢) المعجم العربي للدكتور نصار ٣:٢.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

موضعها الأصلي، ومرةً في الموضع الذي يسرع إليه ذهن مَنْ لم يتمرس بالتصريف، أو تكون الكلمة غامضة الأصل مختلفاً فيها بين العلماء فيراعي صاحب المعجم ذلك ويذكر الكلمة في موضعين.

كل ما تقدّم يشير إلى وجود صعوبات كان يحسّ بها واضعو المعاجم فيحاولون التغلب عليها، ويصدّرون معاجمهم بمقدمات طويلة في فن التصريف، وبلغ الأمر أن الصلاح الصفدي(١٣) استخرج الكلمات ذات الاشتقاق الغامض من معجم الصحاح للجوهري ورتبها على الألف باء من غير مراعاة للأصل وخصّها بمصنّف وسمه بـ «غوامض الصحاح»(١٤) ولم يجعله لشرح معاني هذه الغوامض وإنما الغرض الأصلي منه أن يدلّ المراجع على موضع هذه الكلمات في معجم الصحاح، وإن كان قد ذكر معاني «الغوامض» مختصراً .... فكان لنا بهذا ترتيب جديد لا يراعي الأصل ولا يقوم على الاشتقاق، وهو ترتيب سبق استعماله في معجمات ذات مجال خاص، فأبو الفرج بن الجوزي(١٥) سبق أن رتب الألفاظ حسب حرفها الأول من غير نظرٍ إلى أصلها وذلك في كتابه «منتخب قرة العيون النواظر»(١٦) وهو كتاب في تفسير الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها

(١٣) الصلاح الصفدي: خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ).

(١٤) نشر غوامض الصحاح في معهد المخطوطات العربية في الكويت سنة ١٩٨٥ بتحقيق عبد الإله نبهان ثم أعيد نشره في مكتبة لبنان ١٩٩٦. بيروت .

(١٥) ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) .

(١٦) طبع كتاب «منتخب قرة العيون النواظر» بعنوان آخر لمؤلف آخر فقد نشر محمد المصري بتحقيقه «الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها» لأبي منصور الثعالبي وصدر عن مكتبة سعد الدين بدمشق ١٩٨٤ ثم أثبت الدكتور حاتم صالح الضامن في بحث له بمجلة المورد/ المجلد ١٥/ العدد: ٢/ ص ١٦٩/ أن هذا الكتاب ما هو إلا المنتخب من قرة العيون النواظر لابن الجوزي وأنه لا علاقة له بالثعالبي.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتنوعت معانيها، فترى فيه الكلمات تتالى على هذا النحو: الإتباع، أخلد، الاستطاعة، الاستغفار، الأسف، أصبح، الإصر، أولى، الإذن .... وعلى هذا المنوال نسج كمال الدين عبد الرزاق القاشاني(١٧) في كتابه «اصطلاحات الصوفية»(١٨) من غير ما مراعاة للثواني والثوالث ... أما السيد الشريف عليّ ابن محمد الجرجاني(١٩) فقد اتبع في كتابه «التعريفات»(٢٠) الطريقة نفسها لكن مع مراعاة الثواني والثوالث كما كان فعل من قبله الصلاح الصفدي في «غوامض الصحاح» وكما سيفعل من بعده أبو البقاء الكفوي في كتابه «الكليات»(٢١) الذي هو معجم في المصطلحات والفروق اللغوية وهو يراعي الثواني دون الثوالث ....

وجاء عصر النهضة العربية الحديثة، وبدأت المعاجم الجديدة في الظهور(٢٢) ، وقد اتخذت من موادّ القاموس المحيط أساساً لها، ومن ترتيب أساس البلاغة إماماً هادياً، فكانت المعجمات الحديثة التي نعرفها مرتبةً

(١٧) القاشاني عبد الرزاق من صوفية القرن الثامن الهجري.

(١٨) نشر كتاب اصطلاحات الصوفية بتحقيق الدكتور محمد كمال إبراهيم جعفر وصدر عن الهيئة المصرية للكتاب بالقاهرة سنة ١٩٨١.

(١٩) علي بن محمد الجرجاني السيد الشريف (تـ ٨١٦هـ).

(٢٠) طبع كتاب التعريفات عدة مرات أولها في استانبول ٢٥٣هـ = ١٨٣٧م ثم طبع في القاهرة ١٨٦٦ و١٨٨٨ و١٨٨٩ و١٩٠٣.

(٢١) أبو البقاء الكفوي أيوب بن موسى الحسيني (تـ ١٠٩٤هـ) وقد نشر كتاب الكليات عدة مرات وآخرها الطبعة التي عني بها د. عدنان درويش ومحمد المصري وصدرت عن وزارة الثقافة بدمشق في طبعة ثانية ١٩٨١.

(٢٢) نذكر منها محيط المحيط لبطرس البستاني الذي صدر في عامي ١٨٦٦- ١٨٦٩ ثم قطر المحيط له أيضاً ١٨٦٩م ومعجم «أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد» لسعيد الخوري الشرتوني عام ١٨٨٩م والمنجد للويس معلوف سنة ١٩٠٨ ومعجم البستان لعبد الله البستاني الذي صدر عام ١٩٣٠ وتلاه فاكهة البستان سنة ١٩٣٠ ....

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حسب أوائل أصولها، جامعة تحت أصل كل مادة من المواد مواليدها المختلفة، مع إضافات تختلف من معجم لآخر ... أي إن هذه المعجمات حافظت على البناء الاشتقاقي الذي أسس عليه المعجم العربي باستثناء معجم واحد قرأنا عنه ولم نره وهو كتاب الشيخ القاضي محمد النجاري المصري المتوفى سنة ١٣٣٢هـ الذي أخذ لسان العرب والقاموس ورتبهما على الحروف الهجائية مهملاً الاشتقاق والتجريد، أي وضع الكلمة في بابها باعتبار أول حرف يُنطق به من غير نظرٍ إلى حقيقته أهو مجرد أم مزيد(٢٣) .

واستمرت الرغبة في تسهيل المراجعة في المعجم العربي قائمة، والاتجاه إلى التيسير أو التسهيل يتجه ـ فيما يتجه إليه ـ إلى طريقة ترتيب المواد الأساسية «الجذور» ثم تنظيم الورود للصيغ ضمن المادة الواحدة، وقد تجلّى هذا الاتجاه في معجمين على اختلاف بينهما أيضاً، وأولهما معجم «المرجع» للشيخ عبد الله العلايلي وثانيهما «الرائد» لجبران مسعود.

أما المرجع فقد ظهر سنة ١٩٦٣ بعنوان «المرجع: معجم وسيط، علميّ لغوي، فني، مرتب وفق المفرد بحسب لفظه» وصدر منه مجلد واحد بدأ بحرف الألف ووقف في الجيم عند مادة «جخدل» وتوّقف عن الصدور. قدم الشيخ العلايلي بين يدي «المرجع» مقدمةً بيّن فيها غرضه من وضع المعجم، كما وضّح نظام معجمه وأفصح عن غايته من ذلك النظام، فـ (المرجع) كما يقول: «عمل يتصل بالأساس اللغوي ويتصاعد مع اللغة تصاعدها الطبيعيّ الحيويّ الحضاريّ، فهو يكشف عن تطور اللغة في جانبها اللغائي «الفيلولوجي» ثم يحقق دلالتها القديمة ويصل بينهما وبين ما يحمل

(٢٣) مقدمة معجم الصحاح ١٧٧ ويبدو أن هذا الكتاب لم يطبع فقد قال صاحب معجم المطبوعات العربية والمعربة ٢: ١٨٨٤ وهو يذكر النجاري: وبلغني أن له معجماً عربياً يحتوي خلاصة المعاجم الكبرى. لم يطبع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الذهن الحديث من طوابع ومفاهيم ليفرغ أخيراً إلى فتح باب الاشتقاق على مصراعيه وتطبيقه بأوسع أشكاله»[٢٤] .. أما طريقة الترتيب فقد بيّنها واضع «المرجع» تحت عنوان: مخطط المرجع وهو «ذكر المصطلح في موضعه من النطق متبعاً في هذا طريقه أرباب العلوم في معاجمهم كالكليات للكفوي أو التعريفات للجرجاني ومَنْ لافّهم ودرج على سنّتهم كصاحبي «دستور العلماء»[٢٥] و«كشاف الفنون»[٢٦] أو قل الطريق الفرنجية في الترتيب، وأشدّد على كلمة «المصطلح» لئلا يظنّ أني عمدت إلى هذه السنة في التصريف أيضاً وشأنه الإساءة إلى جوهر العربية وروحها، وذلك لأن العربية كأخواتها الساميات قائمة على الترابط العضوي، فكلّ جنوح بها في دائرة تصريف الأفعال عن الاندراج تحت الجذر يؤدي إلى التفسيخ الذي لا يغتفر، فعمدت لهذا كلّه إلى إثبات تصريف الأفعال مجردة ومزيدة تحت الجذر.. أما المشتقّات وحدها فقد استبحت لنفسي أن تذكر وفق لفظها .. وفوق هذا كلّه سردت تحت الجذر ما حُفظ من مشتقاته سرداً فقط مع الإحالة إلى بحثها حيث تقع من النطق، كما لاحظت أنّ كثيراً من الأفعال ليست مأخوذة من المعنى المصدري للجذر، بل من أسماء الأعيان، ولذا أثبت الأفعال بالمعاني المذكورة تحت اسم العين نفسها مثل (أرضت الخشبة أي ائتكلت) فقد ذكرتها تحت كلمة «الأرضة» وبذلك تكون طريقة التصنيف لهذا (المرجع) جامعةً للنهج الحديث بإثبات المفرد في منزله من النطق،

(٢٤) المرجع: المقدمة هـ وقد صدر المرجع عن دار المعجم العربي - بيروت.

(٢٥) دستور العلماء: هو كتاب جامع العلوم الملقب بدستور العلماء في اصطلاحات العلوم والفنون. ط حيدر آباد ١٣٢٩هـ ومؤلفه القاضي عبد الغني بن عبد الرسول الأحمد نكري.

(٢٦) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي محمد بن علي الفاروقي (ت ١١٥٨هـ) طبع بالهند وبيروت والقاهرة.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والنهج القديم بسرد مشتقات الجذر تحته، ونهج الوحدات بذكر بعض الأفعال تحت أسماء الأعيان(٢٧) ».

فنحن إذن أمام معجم لغوي اتخذ طريقة المعاجم الاصطلاحية عند العرب أو الطريقة الفرنجية، وأحسَّ واضعه أنّ ذكر كلّ كلمة في حرفها الأول سيفتح عليه باباً لا يغلق في معالجة الأفعال، فجعلها تحت الجذر ووزع المشتقات وفق نطقها، ولكنّ تأمّل ورود المواد في هذا المعجم يري أن الأفعال لم تأت تحت الجذر في موضع واحد، بل تعددت مواضع ورود الجذر الواحد بحسب الزيادة والأصالة، ويكفي أن يلحظ الباحث أن باب الألف بدأ بالمدة ووردت فيه أمثال هذه الكلمات: آوى، آدى، آذن.. وهذه كلها سترد في المجرد: أوي، أدي، أذن .. كما أننا نجد أفعالاً مزيدة وردت في ألفاظها وكان المفروض أن تأتي في المجرد لتجتمع الأفعال تحت جذر واحد .. غير أن واضع «المرجع» كان غالباً ملتزماً بخطته في ذكر المزيد والإحالة إلى مادته المجردة، فهو في «اضطرح» يحيل إلى «ضرح» وفي «اضطمر» يحيل إلى «ضمر» وفي «أراث» يحيل إلى «ريث»..

وفي باب الألف في «المرجع» تأتي جميع مصادر الرباعي ومافوقه وتفسّر معانيها، لأن بناء المصدر مما فوق الثلاثي يتطلب الهمزة موصولة أو مقطوعة في أوله في الإفعال والاستفعال، وراح الشيخ في هذا الباب يفسّر الإقدام والإتراب والإثمار والإدانة والاستنتاج والاستفادة والاستهجان .. إلى آخر هذه الجريدة القياسية في باب الألف .. ثم نراه يعيد تفسير أفعالها في باب آخر، ففي باب الألف يورد ما يلي:

إثمار «مص» ظهورمنعقد الزهر .. مجازا :كثرة الدخل والمال .

(٢٧) المرجع: المقدمة: ح.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي باب الثاء يقول:

ثمر ـَـُ ثموراً فهو ثامر الشجر: ظهر حمله أو بلغ أوان أن يحمل أو أينع ومجازاً: الرجل كثر ماله ثم يأتي بالمزيد مع مصدره: أثمر إثماراً فهو مثمر النبات ظهر حمله وفي «إتمام» يقول: الإكمال وغلب في الكم وفي المعاجم المتقابلة وكتب العلوم خلط بينه وبين الإكمال، الإنجاز، الإمضاء.

وفي باب التاء يورد الفعل «تمّ» مجرداً ثم يقول: ومزيداً كثر فيه أتم إتماماً فهو متمّ، الناقصَ استوفاه وأكمله ... انظر جذر «كمل».

فهو يكرر في الفعل المجرد ذكر المصدر ويعيد ما سبق أن قدمه في حرف آخر وما وجدناه في باب الألف نجده في باب التاء فجميع المصادر القياسية التي على التفعل والتفعيل ترد في هذا الباب فتجد أمامك التعجب والتعجل والتعجن والتعدي والتعدين والتعرض والتعريض والتعقيم والتعليق والتعليل ... وهذه المصادر كانت سترد في أفعالها الأصول مرة أخرى لو قيض للمعجم أن يتم نشره، لقد اشتمل المرجع على مادة علمية ولغوية غزيرة واتسمت صياغته بالدقة إضافة إلى ذكره للمصطلحات ونصه على الأصل البعيد في لغات أخرى لبعض الألفاظ وربما كان ما بذل من جهد كبير في الجزء الأول قد أنبأ بما تحتاجه الأجزاء الأخرى من جهد ينوء به الفرد فحال ذلك دون التمام[٢٨] ...

أما المعجم الثاني الذي سنعرض له فهو معجم «الرائد» لجبران مسعود الذي أصدر طبعته الأولى سنة ١٩٦٤ وتتالت طبعاته بعد ذلك وقد ورد عنوانه كما يلي: «الرائد معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقاً لحروفها الأولى».

قدم المؤلف لكتابه بمقدمة يسوغ فيها الطريقة التي اتبعها في ترتيب مواد معجمه فقد شكا من صعوبة المعجم العربي في ترتيبه المعروف القائم

(٢٨) انظر المعجم العربي بين الماضي والحاضر: ٥٩، ٥٨.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على فكرة الأصل وذكر أن هذه الصعوبة كانت تحول بين طلابه وبين الاستفادة من المعجم وسأترك واضع المعجم المذكور يذكر لنا مالاقاه من عنت إلى أن وصل إلى برّ الأمان قال: «... ورحت أتحرى الأمر فإذا بالحقائق تشير إلى العقبات الكأداء التي كانت تسدّ عليهم المنافذ، ومنها عقبة كدت أراها مستعصية، عنيت بها المعجم، وحاولت تدارك الخطر ما وسعني تداركه فرحت ألقن التلاميذ طرق البحث في المعاجم وحملتهم على الاهتداء بها في الصف وخارج الصف بما تيسر لي من سلطة أو رقابة أو أفانين إقناع ولكن النتيجة لم تأتِ على مستوى الرجاء لأن أساليب المعاجم لم تكن على مستوى العصر فأنّى للباحث أن يهتدي بسرعة وسهولة إلى معاني الكلمات المطلوبة والكلمات مبثوثة في المعاجم بطرائق تختلف أحياناً بين معجم وآخر حسب قواعد تحاول مراعاة المنطق الصرفي وغيره ولكنها لا تراعي منطق المخارج الأبجدية في أوائل الألفاظ؟ أنّى للباحث المستهدي أن يقف على المعنى المراد واللفظة تائهة في مظانّها بين إعلال وإدغام واشتقاق وتعريب فإذا بـ «المدرسة» تدرج في باب «الدال» لا في باب «الميم» وإذا بـ «تدارس» تدرج في باب «الدال» لا في باب «التاء» وإذا بـ «قال» تحار بين «قول» و«قيل» وهكذا أدركت يقيناً أن طالبي العربية في عنت فلكل مؤلف في نهجه شؤون ولكل مزاج من أمزجة المؤلفين مفهوم، وبرغم أن الشروح في كثير من المعاجم قيمة وافية فإن صعوبة الاهتداء إلى الكلمات فيها تحجب عن الطالب الدر في غياهب الصدف وهيهات أن يتاح للناس من الوقت والقدرة ما يمكنهم من الغوص على اللؤلؤة المكنونة ودون بلوغ الأرب أهوال وأهوال»[٢٩] ثم وجد الحل اللازم بنظره فقال:

(٢٩) الرائد: ١: ١١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

«وحصل لدي بعد إعياء الحيلة وإعمال الفكر أن من وسائل إحياء العربية وإغنائها وتقريبها وخدمة مريديها والقضاء على عقوق بعض أبنائها وضْعَ معجم عصري يحدث انقلاباً في المظهر ويساعد على تطوير الجوهر.

معجم عصري تثبت فيه الكلمات وفقاً لحروفها الأولى فـ «المدرسة» في باب الميم و«درس» في باب الدال و«تدارس» في باب التاء مع مراعاة الربط بين الكلمات ذاتْ الأصل الواحد ما أمكن الربط»(٣٠)

ثم ذكر ما أضافه إلى المعجم من كلمات جديدة ومعان مستحدثة في اللغة وعلومها، فنحن أمام معجم يرتب الكلمات حسب نطقها ولا يعبأ برد إلى أصل ولا بزيادة أو إعلال أو إبدال فالفعل «قال» في القاف مع الألف ومصدره «القول» في القاف مع الواو و«رعى» في الراء مع العين أما «الراعي» ففي الراء مع الألف و «المرعى» في الميم مع الراء وهكذا نجد المدرسة في باب الميم وباع في باع وليس في بيع وقس على ذلك فالباحث في المعجم ليس بحاجة إلى أن يعرف الصرف ولا أصل الكلمات يكفي أن يبحث في باب الحرف الأول من الكلمة كما تنطق مع مراعاة الثواني والثوالث فلم تعد هناك كلمات غامضة الاشتقاق يحار الباحث في ردها إلى الأصل فأثفية مثلاً في حرف الألف مع الثاء سواء أكان أصلها ثفو أو ثفي لا فرق، ولفظ الجلالة «الله» في الألف مع اللام سواء أكان أصلها أله أو ليه.

إذن نحن أمام معجمين «المرجع والرائد» اتخذا من ترتيب معاجم المصطلحات في العربية كالتعريفات والكليات أو من المعجمات الأجنبية قدوة لهما في ترتيب الكلمات حسب أوائلها لا أوائل أصولها وذلك بهدف التسهيل وخدمة العربية، وفعلاً تم لهما التبسيط كما أرادا وتوصلا إلى طريقة

(٣٠) الرائد: ١: ١٢.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تسهل على متعلم العربية الرجوع إلى المعجم وخصوصاً إذا كان من الأجانب الذين يتعلمون العربية أو من العرب الذين بعد عهدهم بلغتهم .... أما أنهما قد خدما العربية على نحو مطلق فهذا أمر فيه نظر، ذلك لأن هذه الطريقة إن اتبعت وشاعت في المعجم وتسربت إلى المدارس في البلاد العربية فإنها قمينة بأن تقضي على الملكة الصرفية التي يجب أن تعمل المدرسة على ترسيخها في نفس كل ناطق بالعربية منذ نشأته التعليمية الأولى.

إضافة إلى ذلك فإن هذه الطريقة تشتت المادة الواحدة في صيغ كثيرة فتضيع لحمة القرابة وتنفصم عرى النسب في كلمات تنتمي لأصل واحد، ولا أعتقد أن الصعوبات التي ذكرها صاحب الرائد هي صعوبات حقيقية بل إنها صعوبات بولغ في تضخيمها حتى غدت أهوالاً ومصائب ... وطلاب العربية الذين يتحدث عنهم واضع الرائد أذكى بكثير مما صورهم عليه ولا يشمس عليهم إلا ما فيه غموض أو لبس، ولا أعتقد أن طالباً في المرحلة الإعدادية يمكن أن يخطىء في رد مكتب ومدرسة وأشباههما إلى الأصل .....

على كل حال إن هذه العيوب لا تسوغ لنا رفض هذه الطريقة رفضاً قاطعاً لأن ظهورها في القرن الثامن للهجرة على يد الصلاح الصفدي ثم ظهورها في القرن الخامس عشر من جديد وإقبال الناس عليها يدل على أنها تلبي حاجة ما وتجنب الباحث في المعجم بعض الصعوبات التي يواجهها في المعجم الاشتقاقي بترتيبيه المعروفين.

على أن عدم رفض هذه الطريقة لا يعني الدعوة إلى تبنيها ونبذ الطريقة المعتمدة على الاشتقاق والرجوع إلى الأصل .... إن عدم الرفض يعني أن نأخذ بهذه الطريقة في حدود الحاجة إليها كأن يكون متعلم العربية من غير أهلها أو أن يكون عربياً بعد عهده بلغته. أما الطريقة التي ندعو إلى استمرار العمل بها في ترتيب المعجم فهي الطريقة الاشتقاقية التي تسهم في الحفاظ على الملكة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الصرفية وعلى وحدة المادة في المعجم الواحد ... على أن هذا لا يمنع واضع المعجم العربي الحديث من أن يذكر بعض المواد ذات الاشتقاق الخفي أو الغامض في غير مادتها ويحيل إلى موضع الأصل منها فليس في هذا من حرج، فابن منظور ذكر كلمة «الباز» في «بزو» كما ذكرها في «بوز» وليس من حرج إذا ذكرنا كلمة «اضطراب» في حرف الألف وأحلنا المراجع إلى «ضرب» وقل مثل ذلك في «ادّكر» و«الطاووس» و«طوبى» و«الدرنفق» وما شابه ذلك، فنكون بهذا قد حافظنا على الطبيعة الاشتقاقية للمعجم وعلى وحدة المادة المعجمية فيه، وتغلبنا على الصعوبات التي تواجه مَنْ لم يتمرس بالتصريف ومراجعة المعجم، ويمكن تطبيق ذلك خصوصاً في المعاجم التي تخصص للطلاب ولمن يتعلم العربية، وأزعم أن مثل هذا التيسير يمكن أن يلغي الطريقة اللااشتقاقية، لأن الباحث في المعجم الميسر سيتمكن من معرفة الأصول ويتمرس برد الكلمات إلى أصولها، إضافة إلى أنّ جمع الكلمات في أصلها الواحد يلغي تشتت المادة الذي قام عليه معجم «الرائد» وما شابهه ... وكنت أتمنى لو أن المعجم الوسيط قد أكثر من هذه الإحالات ولم يقتصر فيها على بعض الكلمات التي يصعب على عموم الطلاب ردّها إلى أصلها، فقد أحال في «أسلوب» إلى «سلب» وفي «الباريّ والباريّة والبارياء» إلى «برر» وفي «المينى والمينـاء» إلى «ونى» وكان بإمكانه أن يورد الأمعاء في الألف ويحيل إلى «معى» مثلاً ..

إن الإكثار من هذه الإحالات هو سبيل تيسير المراجعة في المعجم مع المحافظة على جوهر الطريقة الاشتقاقية.

إن هذا البحث الموجز لم يعرض لنقد مضمون المعجمات التي ذكرت لأن الاهتمام انصبّ أولاً على طريقة الترتيب ولأن نقد المضمون يحتاج إلى بحوث مفصلة تقف مع كل معجم على حدة مما ليس هو من أهداف هذا البحث.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مراجع البحث

– الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية .. أبو منصور الثعالبي ـ تح محمد المصري. ط. سعد الدين. دمشق ١٩٨٤.

– اصطلاحات الصوفية: عبد الرزاق القاشاني. تح. د. محمد كمال إبراهيم جعفر ـ الهيئة المصرية ١٩٨١ ـ القاهرة.

– جمهرة اللغة ابن دريد. طبع حيدر أباد.

– دراسة في المعاجم العربية ـ كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني ـ تأليف: فرنرديم ترجمه وقدم له د. حسن محمد الشماع وراجعه د. حسن ظاظا. الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ١٩٨٠.

– الرائد معجم لغوي عصري. جبران مسعود. دار العلم للملايين. بيروت ط٣: ١٩٧٨.

– صحاح اللغة وتاج العربية. الجوهري. تح أحمد عبد الغفور عطار– القاهرة ١٩٥٦.

– العين: الخليل بن أحمد: تح د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي. دار الرشيد ـ بغداد.

– غوامض الصحاح. الصلاح الصفدي تح د. عبد الإله نبهان ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ١٩٩٦.

– الكليات: أبو البقاء الكفوي تح د. عدنان درويش ومحمد المصري ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٨٤.

– مجلة المورد المجلد ١٥ ـ العدد: ٢– ١٩٨٦ بحث الدكتور حاتم صالح الضامن بعنوان «كتاب الأشباه والنظائر المنسوب إلى الثعالبي».

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

– مجمل اللغة: ابن فارس تح: زهير عبد المحسن سلطان مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨٤.

– المرجع. معجم وسيط. عبد الله العلايلي ـ بيروت ١٩٦٣.

– المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث. د. محمد أحمد أبو الفرج ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٦٦.

– المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع. د. محمد عيسى صالحية ـ معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ١٩٩٢ ـ ١٩٩٥.

– المعجم العربي نشأته وتطوره. د. حسين نصار ـ دار مصر للطباعة. ط٢: ١٩٦٨.

– المعجم العربي: بحوث في المادة والمنهج والتطبيق د. رياض زكي قاسم ـ دار المعرفة بيروت ١٩٨٧.

– المعجم العربي بين الماضي والحاضر. د. عدنان الخطيب ـ معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ١٩٦٧.

– معجم المطبوعات العربية والمعرّبة. يوسف اليان سركيس الدمشقي ـ دار صادر بيروت مصورة عن طبعة سركيس بمصر ١٩٢٨.

– المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

– مقاييس اللغة. ابن فارس. تح عبد السلام هارون. ط. مصر ١٣٦٦هـ.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net